مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٥: ١–٧)

يا إخوةُ يجبُ علينا نحنُ الأقوياءَ أن نحتَمِلَ وَهَنَ الضُّعَفاءِ ولا نُرضي أنفسَنا* فليُرضِ كلُّ واحدٍ منّا قريبَهُ للخيرِ لأجلِ البُنيان* فإنَّ المسيحَ لم يُرضِ نفسَهُ ولكن كما كُتِبَ تعييراتُ معيّريكَ وقعتْ عليَّ* لأنَّ كلَّ ما كُتِبَ من قبلُ إنّما كُتبَ لتعليمنا ليكونَ لنا الرجاءُ بالصبرِ وبتعزيةِ الكتب* وليُعْطِكم إلهُ الصبرِ والتعزيةِ أن تكونوا متّفقي الآراءِ فيما بينكم بحسَبِ المسيحِ يسوع* حتى إنكم بنفسٍ واحدةٍ وفمٍ واحدٍ تمجّدون اللهَ أبا ربِّنا يسوعَ المسيح* من أجلِ ذلك فليتّخذ بعضُكم بعضًا كما اتَّخذكم المسيحُ لمجدِ الله.

الإنجيل

(متى ٩: ٢٧–٣٥)

في ذلك الزمان فيما

من وحي الرسالة

«فليتّخذ بعضكم بعضًا كما اتّخذكم المسيح لمجد الله» (رو ١٥:٧). في المقطع الذي نقرأه اليوم من رسالته إلى أهل رومية، يحدّد بولس الرسول الأطر العامة التي يجب أن تجمع المؤمنين في حياتهم المشتركة مع بعضهم البعض، وحتى مع غير المؤمنين. ويعطينا مثالاً علاقة الرب يسوع بكلٍّ منا فهو قد «بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١ تيمو ٦:٢)، وكلنا يتذكر كلامه: «اذهبوا وتعلّموا ما هو، إني أريد رحمةً لا ذبيحة، لأني لم آت لأدعو أبرارًا بل خطأة إلى التوبة» (مت ٩:١٣).

على الأقوياء أن يحتملوا وهن الضعفاء، والوهن هو الضعف وانعدام الحيوية. من غدا قويًا في الإيمان لا يستطيع إلا أن يحب الآخرين الضعفاء حتى لو أصبحوا عديمي القدرة. إنه يتذكّر أيام ضعفه هو ويعيد فضل قوته لله لا لنفسه: «أحبك يا رب يا قوتي» (مز ١٨:١)، «قوتي وترنمي الرب وقد صار لي خلاصًا» (مز ١١٨:١٤). إن كان الله الكلّي القدرة قد احتمل عدم قدرتنا وتنازل إلى ضعفنا ليمنحنا من قوّته، أفلا نحتمل نحن أيضًا الذين كنا قبلاً ضعفاء ضعفَ الآخرين؟

لا يُطلب من القوي احتمال الضعيف فقط، بل يجب أن يرضي كلٌّ منا قريبه للخير لأجل البنيان. هذا الكلام يرد بصيغة أخرى في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: «لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر» (١ كور ١٠:٢٤). الهدف ليس إرضاء الذات، بل الخير العام ونمو البنيان عبر عمل ما يناسب خير الآخر ونموّه في الإيمان ليغدو بدوره قويًا بالرب. وفي هذا أيضًا علينا أن نتمثّل بالمسيح الذي لم يرضِ نفسه: المسيح تجسد وافتقر وتألم من أجلنا، غسل أرجل البشر وخدمهم كعبد، حتى إنه احتمل تعييرات الضعفاء الذين مات من أجلهم. في كلّ ذلك لم يطلب الرب كرامة لنفسه ولم يسعَ لإرضاء نفسه، بل كان دائمًا يعمل بحسب مشيئة أبيه السماوي: «لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يو ٦:٣٨). كم من الناس يستسهلون إدانة الآخرين في شتى المواضيع المتنوعة على مواقع التواصل الإجتماعي وفي مجالات العمل المختلفة وحتى ضمن الكنيسة. كل من يفعل ذلك، إن كان يعتبر نفسه

العدد ٢٠١٣/٣٢

الأحد ١١ آب

الشهيد إفبلُس الشماس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السابع

يسوعُ مجتازٌ تبعهُ أعميان يَصيحان ويقولان ارحمنا يا ابنَ داود* فلمّا دخل البيتَ دنا إليهِ الأعميانِ فقال لهما يسوعُ هل تؤمنانِ أنّي أقدِرُ أن أفعَلَ ذلك. فقالا لهُ نعم يا ربُّ* حينئذٍ لمس أعينَهما قائلاً كإيمانِكُما فليكُنْ لَكُما. فانفتحت أعينُهما. فانتهَرَهما يسوعُ قائلاً أنظُرا لا يَعلَمْ أحَدٌ* فلمّا خرجا شَهَراهُ في تلك الأرضِ كلّها* وبعد خروجهما قدّموا إليهِ أخرَسَ بهِ شيطانٌ* فلمّا أُخرِجَ الشيطانُ تكلَّمَ الأخرسُ. فتعجَّبَ الجموعُ قائلين لم يَظْهَرْ قطُّ مِثْلُ هذا في إسرائيل* أمّا الفريسيون فقالوا إنَّهُ برئيسِ الشياطين يُخرِجُ الشياطينَ* وكانَ يسوعُ يطوفُ المُدنَ كلّها والقرى يعلّمُ في مجامِعِهِم ويكرِزُ ببشارةِ الملكوتِ ويَشفي كلَّ مَرَضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب.

تأمل

«لأن كلَّ ما كُتب من قبل إنما كُتب لتعليمنا ليكون لنا الرجاء بالصبر وتعزية الكتب».

محقًا وقويًا في الحق، فيجب أن يحتمل الضعيف وأن يحبه ليوجّه له الكلمة المناسبة لأجل البنيان.

لقد ورد في سفر المزامير: «تعييرات معيّريك وقعتْ عليّ» (مز ٦٩:٩)، والرب يسوع قد احتمل تعييرات من كانوا واقفين عند صليبه. يُظهر لنا بولس الرسول كيف تحققت نبوءات العهد القديم في حياة الرب يسوع ليدفعنا إلى قراءة الكتاب المقدس. إن المؤمن يكتسب صبرًا وتعزيةً من خلال مثابرته على قراءة الكلمة في الكتاب المقدس، ويحصل بذلك على الرجاء بالمواعيد المنتظرة. عندما نقرأ كيف تحققت النبوءات والمواعيد السابقة، نثق بوعد الرب يسوع بالخلاص لكل من يؤمن بكلامه. وعندما نمارس الطاعة لوصايا الرب في حياتنا، نختبر كيف أن كلمة الله فيها حياة تحيي كل إنسان يعمل بها.

بعد أن شدد بولس الرسول على أهمية الكتب المقدسة، يتلو صلاة صغيرة يدعو الله فيها أن يمنح المؤمنين اهتمامًا واحدًا بحسب المسيح ليمجّدوا الله بنفس واحدة وفم واحد. إن التعليم والوعظ يحاكي الأذن والعقل، أما الصلاة فتخاطب الله الذي بدوره يخاطب قلب الإنسان. إن لم يقترن الوعظ والتعليم بالصلاة فهو يبقى غير ذي فعالية كبيرة. يريد بولس الرسول أن يصل الجميع إلى انسجام في علاقتهم بالله. فالاهتمام الواحد يعني أن تكون قلوب المؤمنين جميعاً عند الله، أي أن يطلب جميع المؤمنين ملكوت الله وبرَّهُ (مت ٦:٣٣). هذا لا يعني أن تذوب فرادةُ كلِّ إنسان في الجماعة، فتنوّع الأفكار والآراء فيه غنى للجماعة، لكن شرط أن يكون الإيمان واحدًا. فعندما نتحدث عن الانسجام ضمن فرقة موسيقية مثلاً، فهي تحوي آلات متعددة وأصوات متعددة لكن انسجامها مع بعضها البعض يعطي موسيقى جميلة. في الكنيسة مواهب متنوعة، فإن اجتمعت كل المواهب على إيمان واحد وأظهرت تناغمًا في العمل الكنسي سوف تنتقل كلمة البشارة بعذوبة وتصل إلى كل الناس مثلما يتذوّق الجميع الموسيقى الجميلة.

النبي ميخا

تعيّد كنيستنا في الرابع عشر من شهر آب للنبي ميخا. لا نعرف الكثير عن حياة هذا النبي، لكن جُلَّ ما نعرفه عنه هو أنّهُ أتى من قرية اسمها «موريشيت» لذلك دُعي «المورشتي»: «قول الربّ الذي صار إلى ميخا المورَشِتيِّ» (ميخا ١:١) وعاش في زمن ملوك مملكة يهوذا: يوثام بن عزيّا وآحاز وحزقيّا، حوالى ١٥٠ عامًا قبل دمار أورشليم على أيدي البابليين، أي في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد. هو النبي السادس من الأنبياء الصغار الإثني عشر، وقد كان معاصرًا للأنبياء إشعياء وعاموس وهوشع. إسم النبي ميخا هو تصغير للاسم «ميخائيّا» ومعناه: «الذي مِنَ الله». نلاحظ من نمط كتابته أنّه كان رجلاً مثقّفًا، يتحدّر على الأرجح من عائلة تمتلك أراض كثيرة. شهد النبي ميخا على سُقوط مملكة إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م. وقد جابَ مملكة يهوذا مدةَ خمسين سنةً محذِّرًا سكّانها من أن تكون عاقبتهم مثل عاقبة مملكة إسرائيل إذا عصَوا الله ونقضوا عهده، وحاثًا إياهم على الابتعاد عن أيّة رذيلة

عندما نتكلم على الصبر لا يسعنا إلاّ أن نتكلم على أيّوب البار. كان أيوب إنساناً تقيًّا ولديه أولاد كثيرون وثروة كبيرة، وكان اسمه معروفًا في مناطق الشرق. كما كان الجميع يكرّمه ويُعْجب به، لكنه فقَدَ كل شيء فجأةً: ثروته وأولاده وصحته. سقط من السعادة إلى البؤسِ ومن المجد إلى الهوان. كان حزن أيوب عميقًا جدًا بسبب الفقر الفجائي وغير المحتمل، كما أنّ انهياره النفسيّ العميق لموت أولاده الفجائي والمحزن كان لا يوصف. كما امتلأ قروحًا من رأسه حتى أظافره، قروحًا رهيبة وكريهة.

لقد كان أيوب شجاعًا ومحبًّا لله، مع أنّه ضُرب بمصائب كثيرة، إلا أنه حافظ على نقاوة روحه وبقي غير متأثّر بنحيب زوجته ومحاولاتها. قال لها بحزم: «تتكلّمين كإحدى الجاهلات. الخير نقبل من عند الله والشرّ لا نقبل؟» (أي ٢:١٠). بجوابه هذا يُبرهن لنا المغبوط أنه لم يكن أبدًا أدنى من رسل المسيح.

على أيّ حال، أعتقد أنّ البرهان الأكثر وضوحًا تجعلهم عبيدًا لها وأن يعيشوا كما يليق بالله على قدر استطاعتهم. كذلك لا نعرف إلاّ القليل عن رقاده؛ مما نعرفه أنّه دُفِنَ في مسقط رأسه «موريشيت» وقد تمّ العثور على رفاته على عهد الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الكبير في أواخر القرن الميلادي الرابع بعدما شاهد أسقفُ مدينة «إلِفثِروبوليس» رؤيا عن مكان وجود الرفات.

يبدأ كتاب النبي ميخا بنبوءاتٍ إلى السامرة. فعلى عهد الملوك الثلاثة، الذين ذكرناهم في بداية كلامنا، انتشرت لدى السامريين عبادة الأوثان التي صاحَبَها البَغاء والزّنى، فكان المال المجموع من الزّنى يُستعمل لتمويل صناعة التماثيل: «وجميع تماثيلها المنحوتة تُحَطَّم وكل أعقارِها تُحرَقُ بالنار وجميع أصنامها أجعلها خرابًا لأنها من عُقر الزانية جَمَعَتها وإلى عُقرِ الزانية تعود» (١:٧).

لقد وضع النبي ميخا يده على المحراث ولم ينظر وراءه، إذ إنه عندما بدأ يعلّم الشعب ويتنبّأ ويُري الناس الخطأ والصواب لم يخف من أحدٍ، لذلك نراه يخاطب الأورشليميين ويحثّهم على الابتعاد عن الغشّ الذي كان يحدث في الأسواق وعن الفساد الذي كان يعيشه ملوكهم: «هل أتزكّى مع موازين الشرّ ومع كيس معايير الغشّ، فإنّ أغنياءها ملآنون ظلمًا وسكانها يتكلّمون بالكذب ولسانهم في فمهم غاشٌّ» (٦:١١-١٢).

لم يتنبّأ النبي ميخا عن دمار أورشليم فقط، بل أيضًا عن دمار كلٍّ من السامرة ويهوذا على يد سنحاريب ملك الأشوريين، لكنه عاد أيضًا وتنبّأ عن عودة يهوذا لتكون أكثر مجدًا مما سبق وأنها ستكون أرض سلام يخرج منها المسيح: «أما أنت ياَ بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلّطًا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل... ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الربّ إلهه ويثبتون. لأنّه الآن يتعظّم إلى أقاصي الأرض ويكون هذا سلامًا» (٥:٢-٥). هذه النبوءة يؤكّدها الإنجيلي متى على لسان رؤساء الكهنة والكتبة الذين أحضرهم هيرودس الملك ليسألهم أين سيولد المسيح «فقالوا له في بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبي: وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبّرٌ يرعى شعبي إسرائيل» (متى ٢:٤-٦).

يظهر في عدة مواضع من الكتاب المقدس أن الرب يسوع المسيح كان قد قرأ التوراة والأنبياء والمزامير وحفظها مثل أيٍّ من المعلّمين اليهود في ذلك الحين، لكن الفرق كان في كيفية توظيف ما قُرئ. فالرب استعمل ما قرأه للتعليم لا للدينونة كما كان يفعل الفريسيون. استعمل الرب يسوع نبوءة ميخا القائلة: «لأن الابن مستهينٌ بالأب والبنت قائمةٌ على أمّها والكنّة على حماتها وأعداءُ الإنسان أهل بيته» (٧:٦). تُرينا النبوءة الفساد الذي كان في زمن ميخا، إلا أنّ الرب يسوع قال: «لا تظنّوا أنّي جئت لأُلقي سلامًا على الأرض، ما جئتُ لأُلقي سلامًا بل سيفًا. فإني جئتُ لأُفرّقَ الإنسان ضدّ أبيه والابنة ضدّ أمِّها والكنّة ضدّ حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته» (متى ١٠:٣٤-٣٦). كلام الرب حتى الآن مطابق

لعظمة صبر أيوب يعطينا إياه الشيطان بموقفه. هل تذكرون حديثه الأول مع الرب عندما كان أيوب ما يزال هانئًا؟ كان الله قد قال له: «هل جعلتَ قلبك على عبدي أيوب، لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتّقي الله ويحيد عن الشرّ» (أي ٨:١). وماذا كان جواب الشيطان بوقاحة زائدة؟ «هل مجانًا يتّقي أيوب الله. أليس أنك سيّجتَ حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية. باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض. ولكن أبسط يدك الآن ومسّ كل ما له فإنه في وجهك يجدّف عليك» (أي ١: ٩–١١).

عندما كان أيوب يقوم بأعمالٍ صالحة كثيرة، تحدّى الشيطانُ اللهَ بوقاحةٍ قائلاً: «هل يتّقيك أيوب مجانًا؟»، لكن عندما وقعت تلك المصائب الفريدة من نوعها على أيوب والتي احتملها بصبرٍ كبير، غطّى الشيطانُ وجهه بخجل وفرّ هاربًا غير قادرٍ على طرح تبرير حتى ولو كان تافهًا ومرائيًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لكلام ميخا، لكنّ الرب أراد أن يعلّمنا من هذه النبوءة أنّه هو الذي سيكون سبب ابتعاد الإنسان عن أهل بيته ولن يكون الفساد الذي كان في أيّام ميخا هو السبب بعد الآن، أراد أن يقلب الفساد والعداوة البشريَّين إلى محبة، فإنّ الإنسان يبرهن عن محبّته لله من خلال الابتعاد عن كلّ ما يجعله متعلّقًا بالأرضيّات على عكس زمن النبوءة حين كانت الرشوة والفساد والرذائل هي ما يفصل بين الإنسان وأهل بيته.

ألا وضع الله في قلوبنا الإيمان والمحبة اللذين وضعهما في قلب النبي ميخا القائل: «إذا جلستُ في الظلمة فالرب نورٌ لي» (٨:٧).

الليتورجيا وشركة القديسين

«كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة. لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنّي أنا قدوس» (١ بط ١: ١٥–١٦). **القداسة هي دعوة كل إنسان مسيحي مؤمن**، والهدف الذي يجب أن يسعى إليه كل حياته.

تدخلنا الليتورجيا في سر القداسة عبر إدخالنا في سر شركة القديسين، وذلك عبر الذكر الدائم لجميع القديسين والتعييد لهم. تضعهم مثالاً أمامنا. القديسون أعطوا ذواتهم كلياً للمسيح ليحلّ فيهم وينيرهم، «فذكرنا لهم إنما هو إنماء وتعميق لشركتنا بالمسيح نفسه، وفي الوقت ذاته هو يربطنا بنظام الخليقة الجديد الذي هو القداسة» (من أجل فهم الليتورجيا وعيشها). نتذكّر القديسين في العبادة لكي يكونوا مثالنا في الصلاة، فهم جاهدوا قبلنا ووصلوا. وإذا كنا نصلّي اليوم، فنحن نصلّي بالروح التي صلّوا هم فيها ووصلوا إلى النعيم الأبدي، والروح القدس الذي أنار دربهم هو نفسه الذي يعمل فينا أيضاً. بواسطة القديسين يظهر الله لنا، والله عجيب في قديسيه.

يقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد إن القديسين يؤلفون سلسلة ذهبية ونحن باستطاعتنا أن نكون جزءاً من هذه السلسلة: «الثالوث القدوس يعمّ جميع البشر، من أوّلهم إلى آخرهم، من رؤوسهم إلى أقدامهم، ويشدّهم إلى بعضهم البعض... وقديسو كل جيل ينضمون إلى القديسين الذين سبقوهم، وعلى غرارهم يمتلئون نوراً ويؤلّفون معهم سلسلة ذهبية يشكّل فيها كلّ قديس حلقة مميَّزة متصلاً بالحلقتين المجاورتين من طريق الإيمان والمحبة والأعمال الحسنة. هكذا يكونون جميعاً سلسلة واحدة متصلة بالله، وهذه السلسلة لا تنفصم عراها بسهولة». هكذا ترى كنيستنا الأرثوذكسية شركة القديسين: سلسلة من المحبة والصلاة حيث لجميع أعضاء الكنيسة على الأرض «المدعوين إلى القداسة»، مكانهم.

في العبادة نطلب شفاعة القديسين لأن «طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥:١٦). في العبادة نصلّي أيضاً معهم. ما يميِّز المسيحي الغربي عن المسيحي الشرقي، ان الغربي يدخل الكنيسة ويريد الإختلاء ليكون مع الله وحده، بينما الشرقي يدخل إلى الكنيسة ليكون مع الله وقديسيه. فقبل أن يبدأ صلواته الخاصة يزور أيقونات القديسين ويقبّلها ويضيء الشموع أمامها. لقد وعى الشرقيون أن القديسين يشكّلون مجلس الله، وهم في موقف تسبيح وصلاة دائمة أمامه، وأن الكنيسة التي هي فوق، الظافرة، والتي على الأرض، المجاهدة، هما كنيسة واحدة وبالتالي شركة واحدة.